• دریافت ۹۱/۰۹/۲۲
• تأیید ۹۴/۳/۱۸

تجلیات المقاومة الفلسطینیة فی شعر فاروق جویدة

زهره ناعمی*
سعید زرمحمدی**

الملخّص

إنّ الأدب المقاوم یندرج ضمن الأدب الملتزم و من شأنه أن یعبّر عن مساوئ الاستبداد الداخلی أو الاحتلال الخارجی، بغیة إذکاء روح المقاومة بالوعی و الفهم للقضیة التی یدافع عنها و هو یحثّ الناس علی الکفاح و التضحیة من أجل التخلّص من نیر المستبدین و المحتلّین. فاروق جویدة هو شاعر معاصر مصری ولد عام ۱۹۴۵ فی محافظة کفرالشیخ، و هو حریصٌ فی کتاباته و مواقفه علی الالتزام بقضایا الأمّة لاسیما القضیة الفلسطینیة، و یُعتبر واحداً من أبرز الشعراء المجیدین فی مسیرة الشعر العربی المعاصر بشکل عامّ و فی مجال المقاومة و الصمود بشکل خاصّ. لم یأخذ هذا الشاعر المفکّر حقّه من الاهتمام فی حقل الدراسة و التحلیل، و بالطبع هذا المقال لا یتّسع لإعطاء هذا الرجل ما یستحقّ من البحث و التدقیق؛ لذا یجب علی المرء أن یقتنع بذکر ما یسمح المقام، علی أمل أن یکون هذا المقال تمهیداً للفت انتباه الباحثین و الدارسین لذلک.

إنّ اهتمام فاروق جویدة بالقضیة الفلسطینیة یتمحور حول الحبّ بالنسبة إلی القدس، رفض السلم المبنی علی الخنوع، الدعوة إلی الکفاح، أطفال الحجارة، الدین عامل الوحدة، و التطلّع إلی مستقبل واعد.

ونری الشاعر فی هذا السبیل یستعین لتحقیق مآربه بالوسائل التعبیریة وعلی وجه الخصوص الرمز الذی لا یخرج علی رؤیته الإسلامیة و التناصّ القرآنی، و النقطة اللافتة الأخری متمثّلة فی عدم استخدام الشاعر أسلوب الفکاهة فی قصائده إطلاقاً. یسعی هذا المقال علی أساس المنهج الوصفی-التحلیلی إلی بلورة و استعراض مظاهر المقاومة الفلسطینیة التی ارتکز علیها الشاعر فی التعبیر عن موقفه من هذه القضیة.

الکلمات الرئیسة:
الالتزام، أدب المقاومة، فاروق جویدة، فلسطین، القدس.

* أستاذة مساعدة فی قسم اللغة العربیة و آدابها بجامعة خوارزمی naemi.zohreh@gmail.com
** ماجستیر فی فرع اللغة العربیة و آدابها بجامعة خوارزمی zarmohammadi 68@yahoo.com

۱-المقدمة

ما من شكّ فى أنّ للفنون و خاصّة الأدبية منها تأثيراً بالغاً على النفوس البشرية لأنّها قادرة جملة و تفصيلاً على إحداث التغيير الثقافى و استيعاب التطوّر المعرفى. لعلّ من المناسب فى هذا السياق أن نستعين بقول الأديب توفيق الحكيم فى الإفصاح عن معنى الأدب و الأديب حيث أتحفنا بكلمته القيمة:« الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان و الأمة، الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة و الإنسان.» (الحكيم، لاتا: ۱) توفيق الحكيم بعقيدته هذه قد حمّل الأدب مسؤولية كبرى فى الحفاظ على القيم الراقية و فى الوقت نفسه وضع على عاتق الأديب دوراً تنويرياً يُضىء طريق الأمة نحو التقدّم الرقىّ آخذاً بيدها فى مسلک السعادة و العزة. فى الحقيقة هذا التعريف من الأدب ينظمه فى سلک الملتزم منه و يرفض بصراحة نظرية الفنّ للفنّ مشدّداً على ضرورة اهتمام الأدب و صاحبه بمستجدّات المجتمع الإنسانى؛ إذ كلّما بعد عن الواقع تعُدَ عن القيمه الإنسانية و الفنيّة. و حسب قول المفكّر المعاصر «الالتزام يدلّ على أنّ الأدب يجب أن يحمل فى طيّاته رسالة تخدم الرغبات الوطنية، و ليس من المستحسن أن يكون مجرّد حبّ القارئ غاية الأدب، بعبارة أخرى يتقاطع الالتزام مع نظرية «الفن للفن» التى يتظاهر بالاستغناء و اللامبالاة بهدف أسمى. لو كان هكذا لاستحال مقارنة الفنّ بالمعايير غير الجمالية، و الأخلاقية، و السياسية.»(سليمان، ۱۳۷۶: ۲۳۹) و طبيعى أن يكون الأدب أحد المجالات الواسعة فى هذا الشأن فينبرى جماعة من الكتاب و الشعراء لتوجيهه نحو رسالته، و يرفعون شعار« الأدب فى سبيل الحياة»، مطالبين بتوثيق الصلة بين الأدب و المجتمع، و بين صورة الأدب و مادته، و قالبه و محتواه، متمردين على الرومنطيقية و على المذهب الليبرالى، رافضين أن يكون الأدب «كالزهرة الجميلة تنمو فلاتسأل كيف نمت، و لا ما

سرّ جمالها، و هل هى نافعة أو غير نافعة.»(عوض،١٩٦٧: ١٦٠)من هذا المنطلق يكتسى الأدب بأهمية قصوى حينما يتحدّث عن المقاومة و هذه الأهمية تتضاعف عندما يتعرّض بلد ما للإحتلال الغاشم و هو بحاجة إلى إفادات محرّضة تحضّ الشعب على المقاومة و الصمود فى و جه قوات الإحتلال. هنا ينبغى لنا أن نفتح قوساً لنشير إلى أنّ المقاومة ليست محصورة بالسلاح كما« يتبادر إلى الذهن من كلمة المقاومة عادة أنّها حمل السلاح، و الكفاح المسلّح دفاعاً عن الكرامة. لكنّ المقاومة لها معنى أوسع من ذلک، إنّها سريان روح الحياة فى الأمة، و الجسد الحىّ بطبيعته مقاوم، يقاوم كلّ ما يتنافى مع هذه الحياة.. و مع مظاهر الحياة الإنسانية من نموّ، و تكامل، و تطوّر، و استقلال، و هوية.»(آذرشب،١٣٩٢: ١٥٥) لعلّه فى ضوء ما سبق تبلور أنّ شعر المقاومة« هو رفضٌ للواقع، و الإيمان بالقدرة على التغيير، و تعبيرٌ عن الألم، و غضبٌ عارمٌ ضدّ صور القمع، و الإضطهاد، و الإستلاب ..وأمل فى استشراف حياة أخرى..»(الخطيب، ٢٠٠٩: ٥٩)

على أساس هذا مفهوم شعر المقاومة لايرتبط بزمن محدد، بل هو جارٍ فى كلّ الأزمنه نقصد بقولنا هذا أنّه كلّ عمل أدبى يسهم فى تربية ضمائر النّاس على التصدى للظلم و الإنحياز إلى كلّ ما من شانه أن يرفع من قيمه الإنسان و يساعده على تعزيز كرامته نظراً إلى كلّ هذا فهو مفهوم إنسانى عالمى.(كيانى، ميرقادرى، ١٣٩٠: ١٦٤)

من إحدى الهموم الرئيسة للمسلمين بل لمن له وجدان حىّ يقظ هى مأساة فلسطين التى هزّت النفوس، و تأجّجت فيها قوية مشتعلة، و شغلت اهتمام العالم الإسلامى و البشرية بحذافيرها، وجعلتهم يعيشون مأساة الحرّية و مأساة الإنسانية المعذّبة فى بلادهم، فأضحى الأدب العربى أدب الكفاح، و النضال المرير، و أدب المقاومة و التحرّر، و لعلّ القضية الفلسطينية « تُعتبر من أهم

القضايا الإنسانية كلّها إنّها محنة شعب وقع عليه تشريد و ظلم، إنّها قضية احتلال بلد. إنّها قضية زرع غدّة سرطانية فى قلب البلدان الإسلامية، و فى نقطة التقاء شرق العالم الإسلامى مع غربه.»(فراهانى، ٢٠٠٦: ٥) إنّ الأوضاع المتدهورة التى يمرّ بها العالم الإسلامى، و التبعيّة المخجلة لدول المنطقة لسلطة أميركا، و فى ظلّ انشغال الدول العربية بقضاياها الداخلية، و التفاعلات المتعلقة بمتغيّرات المنطقة، نرى البعض يزعم بأنّ الاهتمام بالقضية الفلسطينية تراجع و أصبحت القضية متروكة للفراغ و القدر إلّا أنّ الشعوب الإسلامية لم تنس فلسطين إذ إنّها تقع فى أعماق قلوبهم و إنّ تحريرها هو من الأمانى الكبيرة للأمة الإسلامية العظيمة، و من يريد الإظهار بأنّ القضية الفلسطينية أصبحت منسيّة فى العالم الإسلامى و فى الأقطار الأخرى هو يُعتبر من الخائنين للإسلام و المسلمين.

فلا خيارَ للشاعر اليوم، إن كان يريد أن يكون شاعراً ملتزماً إلّا أن يكون منحازاً إلى قضايا أمته، و ما من ريب فى أنّ فلسطين هى بؤرة قضايا الأمة الإسلامية، فاروق جويدة لكونه شاعراً ملتزماً بالإسلام يُعتبر شعره كمرآة تعكس بصدق هذه الهموم، و تعبّر بعمق عن مشاعر هذه الأمة و أحاسيسها، و تجلو أحزانها، و ترسم بواقعية مبدعة ملامح معاناة الشعب الفلسطينى و طموحاتهم ذلک أنّه اعتبر الشعر كرسالة تملى عليه خدمة الإسلام و الذود عن حمى عقيدته و الإفصاح عن هموم المسلمين. و من يتصفّح دواوينه الشعرية يرى بوضوح أنّه قد أولى اهتماماً ملموساً بقضية فلسطين فظلّت حاضرة فى أشعاره، و بذلک غطّت فلسطين مساحة واسعة من دواوينه.

١-٢: أسئلة البحث

فى هذا المقال يحاول الباحثون أن يقوموا بتسليط الضوء على تجليات المقاومة الفلسطينية فى شعر فاروق جويدة لكونه شاعراً ملتزماً قد حظيت القضية

الفلسطينية بحيّز كبير فى كتاباته و مواقفه فراح يعبّر فى أسلوب فنّى عن الاحـتلال الصهيونى لفلسطين و ضرورة الوقوف فى وجهه، أما فى مقدّمة هذا البحث تطالعنـا بعض الأسئلة الرئيسة، نحاول الإجابة عنها فى طيّات المقال. و هى:

١: كيف ينظر فاروق جويدة إلى قضية السلم مع العدوّ الصهيونى؟

٢: ما هو الحلّ فى التخلّص من نير الاحتلال فى وجهة نظر جويدة؟

٣: ما هى سمات التى يتميّز بها الخطاب الشعرى لفاروق جويدة فى قصائده الفلسطينية؟

١-٣: خلفية البحث

بادئ ذى بدء لابدَّ من الإشارة إلى أنّ الدراسات التى تناولت المقاومة عامّة و الفلسطينية منها خاصّة بالبحث و الاستقصـاء ليسـت بقليلـة إلا أنّ موضـوع تجليات المقاومة الفلسـطينية فـى شـعر فـاروق جويـدة يكـاد يكـون مـن الموضوعات التى لم تُطرح على بساط البحث و الاستقصاء.

أما إذا أردنا أن نأتى بنماذج تطرّقت إلى أدب الشاعر فيمكننا أن نذكر:

كتاب **الحبّ و الوطن فى شعر فاروق جويـدة** للكاتـب المصـرى إبـراهيم خليل إبراهيم، كما يتّضح من العنوان رصد الكاتب فـى كتابـه هـذا فيوضـات الحبّ الوطنية فى شعر الشاعر.

مقال **فاروق جويدة بين الرومانسية و الواقعية** للدكتور على نظرى و سمية أونق، و تمّ نشره فى مجلة دراسات النقد و الترجمة فى اللغة العربيـة و آدابهـا خريف ٢٠١٢؛ حرىّ بالذكر أنّ اهتمام هذه الورقة على المضامين الرومانسـية كالحبّ، و الألم، و الأمل و المضامين الواقعيـة كـالوطن، و المقاومـة، وصـف ظروف الشعوب العربية المسلمة من مثل العراق، لبنان، مصر، فلسطين، إلا أنّها انفردت بتصوير المقاومة الفلسطينية فى فقرة واحدة فقط.

مقال **تجليات التناصّ القرآنى والدينى فى شعر فاروق جويدة** للكاتبين سعيد زرمحمدى و بهمن جهانغيرى، المنشور فى المؤتمر الوطنى للتناصّ عام ١٣٩٣. لايهم الكاتبين فى هذه المقالة إلا إنجاز البحث عن التناص فى شعر فاروق جويدة.

مقال **مظاهر الصحوة الإسلامية فى آثار فاروق جويدة المسرحية «الخديوى»** و **«دماء على ستار الكعبة» نموذجاً** للكاتبين الدكتور السيّد عدنان اشكورى و سعيد زرمحمدى، و سيتمّ نشره فى مجلة إضاءات نقدية عام ١٣٩۴. و إنّ الكاتبين فى هذا البحث تطرّقا إلى الصحوة الإسلامية و مظاهرها فى آثار جويدة النثرية فقط؛

تأسيساً على ما قلناه فالنقطة الملتفتة للإنتباه التى نحن بصدد انجازها فى هذه المقالة هى المقاومة الفلسطينية فى شعر فاروق بصفة خاصة، التى ما اهتمّ بها الباحثون السابقون و ما قاموا بتسليط الضوء عليها.

١-۴: منهج البحث

يسعى هذا المقال مؤسّساً على المنهج **الوصفى - التحليلى** إلى بلورة و استعراض تجليات المقاومة الفلسطينية فى شعر فاروق جويدة.

٢-ترجمة فاروق جويدة

«إنّ اللغة مرآة حال الأمة و سجلّ مفاخرها، و الشاهدة على مجدها فى المجالات الاجتماعية، و الأدبية، و السياسية، تعزّ بعزّة أمتها و تذلّ بذلّتها(عثمان، ٢٠٠١: ٩). أحد الشعراء الذين يُعتبر أدبه مرآة لظروف حياته و مجد أمته، هو الشاعر فاروق محمد جويدة الذى أبصر النور سنة ١٩۴۵ بمحافظة كفر الشيخ بمصر و أمضى مراحل تعليمه بدمنهور ثمّ التحق بكلّية الآداب قسم الصحافة بجامعة القاهرة و تخرّج منها فى عام ١٩۶٨. (معجم

البابطين،۱۹۹۵: ۷/ ۳۹۵) و أُتيح له أن يتلمّذ على يد أساتذة كبار تابعوا انتاجه الشعرى فى مراحله الأولى و منهم الدكتور محمد مندور و الدكتور شوقى ضيف. (جويدة، لاتا، الوزير العالشق، ظهر الكتاب) فاروق جويدة مارس كثيراً من ألوان الشعر ابتداءً بالقصيدة العمودية و انتهاءً بالمسرح الشعرى.(ادب: الموسوعة العالمية للشعر العربى، آوريل ۲۰۱۲)

«قدّم للمكتبة العربية حتى الآن ۴۰ كتاباً، من بينها ۱۶ مجموعة شعرية و قدّم للمسرح الشعرى ۳ مسرحيات حقّقت نجاحاً كبيراً على المستويين الجماهيرى و النقدى هى: «الوزير العاشق» و«دماء على ستار الكعبة» و«الخديوى»، و قد قدّمها كبار نجوم المسرح المصرى.

ناقش جويدة فى آثاره الكثير من القضايا التى يصعب حصرها، منها الثقافية و السياسية و الفكرية و التاريخية فى مجموعة من الكتب التى تناولت قضايا التاريخ و الآثار و الغزو الفكرى و العولمة و اللغة العربية و التراجع الثقافى و العلاقة بالغرب، و كان دائماً حريصاً فى كتاباته و مواقفه على الالتزام بقضايا الوطن و الأمة.

ترجمت قصائده و مسرحياته إلى عدة لغات عالمية منها: الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية و الإسبانية و الصينية و البنجالية و الإيطالية، شارك فى كثير من المهرجانات الشعرية و المؤتمرات الثقافية العربية و الدولية، و هو عضو مؤسّس فى الأكاديمية العالمية للشعر التى أنشأتها منظّمة اليونسكو فى عام ۲۰۰۱ فى مدينة فيرونا بإيطاليا ضمن ۴۵ شاعراً اختارتهم المنظمة من كلّ دول العالم. حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب فى عام ۲۰۰۲. زار معظم دول العالم و شاركت مسرحياته الشعرية فى عدد كبير من المهرجانات الدولية، و مثّل مصر فى كثير من المهرجانات الشعرية فى دول العالمين العربى و الغربى.

بدأ هذا الشاعر حياته الصحفية محـرراً بالقسـم الاقتصـادى بـالأهرام ثـمّ سكرتيراً لتحرير الأهرام ثمّ مشرفاً على الصفحة الثقافيـة، و هـو حاليـاً يعمـل مـديراً لتحريـر الأهـرام و مشـرفاً عامّـاً علـى أقسـامه الثقافيـة و الأدبية.»(جويدة،٢٠٠٧: غلاف الديوان)

٣-أسلوب الشاعر

من يقرأ شعر فاروق جويدة يظنّه بسيطاً و لم يعد خافياً على أحد أنّ مـردّ ذلک سلاسة التعابير ورقّة المفردات الشعرية التى يستخدمها الشاعر بالإضـافة إلى دقّة التصوير و البعد عن التعقيد و مألوفية كثير من العناصـر التـى تشـكّل قصائده و أبيات شعره، و هى تخاطب عاطفة القارئ و المستمع و مشاعرهما و أحاسيسهما، معتمداً على الإيقـاع الحركـى للمفـردات المشـحونة بالغضـب و الشجب.

يتمتّع جويدة بحاسة رائعة فى توظيف التاريخ و من يراجعْ كتبـه يـرَ فيهـا شأناً يُذكر للوقفات التاريخية التى تلبس الماضى برود الجـلال و تـدوّن مـآثر الأسلاف بأقلام الفخار مستعرضة أمجاد الأمة الإسلامية الغابرة معبّرة عن روح الأمة و أمانيها الكامنة.

كما سبقت الإشارة أنّ شاعرنا المترجَم اشـتهر بمسـرحياته المميّـزة التـى إستلهم قضاياها من موضوعات التراث الإسـلامى عبـر عصـوره المختلفـة و بالضبط العصر الأندلسى، و الإسلامى فى القرنين الأوّل، و المعاصر.

من الجدير بالذكر أنّ تأثّر الشاعر بالقرآن مشهود فـى أثنـاء كتاباتـه و إن اختلف مستوى هذا التأثر؛ إذ نلحظ أنّ جويـدة يعمـد إلـى اقتبـاس الآيـات القرآنية بحرفها تارة و إلى استخدام المضـامين الوحيانيـة تـارة أخـرى، هـذه الظاهرة تُعرف فى الدراسات الأدبية و النقدية الحديثة بالتناصّ، الذى بإمكاننـا أن نقول فى تحديد مفهومه:« التناص الأدبى هو تداخل نصوص أدبية مختـارة

قديمة أو حديثة، شعراً أو نثراً مع نص القصيدة الأصلى، بحيث تكون منسجمة و موظّفة و دالة قدر الإمكان على الفكرة التى يطرحها الشاعر.»(الزعبى،٢٠٠٠: ٥٠)

بقى أن نذكر بأنّ فاروق جويدة قد قام بتوظيف الرمز للتعبير عن رؤيته الشعرية و تجربته الشعورية، كما أنه قد عكف على الموروث من ينابيعه المختلفة مستمداً من موروث دينى و تاريخى، عناصر و معطيات منها شخصيات و إشارات لبناء رموزه و الإيحاء بأبعاد رؤيته الشعرية، ينضاف إلى كلّ هذا توظيف الشاعر الرموز الشخصية التى ابتدعها من تلقاء نفسه «و يستمدّها الشاعر من واقعه الذى يعيشه، وتختلف من شاعر لآخر لاختلاف التجربة و المعاناة التى يمرّ بها الشاعر.» (الشطناوى،٢٠٠٤: ١٤٩). و فى المنتهى ربّما يتسنى لنا القول إن شاعرنا تطرّق فى شعره إلى أكثر الجوانب الرمزية، ما عدا الرموز الأسطورية الغربية و الإغريقية كسيزيف، و أدونيس، و زيوس و ما إلى ذلک، فنجد شعره خالياً منها، و لعل ذلک ناتج عن اتجاهه الإسلامى الذى لايؤمن بذلک النوع من الرؤية الخيالية التى ينبنى عليها الرمز الأسطورى الغربى فضلاً عن أنّ هذه الأساطير تتنافى مع روح العقيدة الإسلامية.

٤- مظاهر أدب المقاومة فى شعر فاروق جويدة

٤-١: القدس

القدس فى الإعتقاد الإسلامى لها مكانة دينية مرموقة، اتّفق على ذلک جميع المسلمون بجميع طوائفهم، و مذاهبهم، و توجّهاتهم، فهو إجماع الأمة كلّها من أقصاها إلى أقصاها، و لاغرو أن يلتزم المسلمون كافة بوجوب الدفاع عن القدس، و الغيرة عليها، و الذود عن حماها و حرماتها و مقدساتها، و بذل

النفس و النفيس فى سبيل حمايتها، و ردّ المعتـدين عليهـا. فللقـدس قدسـية إسلامية و هى تمثّل فى حسّ المسلمين و وعيهم الإسلامى، القبلـة الأولـى و أرض المعراج، و الإسراء، و ثالث المدن المعظمة.

و« تظل القدس، و المسجد الأقصى، و الصخرة المشرفة أمانة فـــى أعناق الفلسطينيين الذين جادوا على شرفها بدماء فلذات أكبادهم و مازالوا يجودون. و هـــــم يسألون العلى القدير أن يعود العرب و المسلمون إلى صوابهم، و لمّ شملهم، و حميتهم فى الدفاع عن مقدساتهم.»(زغلول،٢٠٠٥: ٧)

وجويدة فى هذا الإطار كسائر المسلمين تهمّه قضية القدس و فـى الوقـت ذاته يعبّر عن تألّمه حيال هذا العضو المتألّم من جسد العـالم الإسـلامى؛ إذ « المُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ كالْجَسَدِ الوَاحدِ، إن إشْتَكى شيئاً منه وجد أَلَم ذلـک فـى سَائرِ جَسَده.»(الكلينى، ٢٠٠٥: ٤٢٢) هكذا الجسد الإسـلامى واحـدٌ، وحـين يهدَّد أو يبتلع بعضه، يهدّد أو يبتلع كلّه، إنطلاقاً من هـذا، نـرى الشـاعر يرفـع عقيرته مشتكياً من الوضع المأساوى الراهن للأمة الإسلامية قائلاً:

«القدسُ فى القيد تبكى من فوارسها

دمعُ المنابر .. يشكو للمصلّينا» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ١٨٢)

نجد فى هذا المقطع أنّ زهرة المدائن قد أخذت من الشـاعر مأخـذاً كبيـراً بحيث أنّها قد إستحوذت على كلّ كيانه و أصبح الشاعر يشعر فى أعماقه بـألم القدس و شكواها و مدى تألمها من الوقوع فى الأسر و القيد، كأنه يسمع بأذنه الصاغية صوت بكائها الشاكى من إفلاس أهلها من الحمية و الغيـرة، تسـتغيث بهم و لا يستجيبون كأنهم نسوا أو تناسوا أمجادهم الفوارس الذين قـد أوقفـوا العدوان عنها و كنسوها عن المحتلين الغاصبين.

ومن المدهش حقّاً أن يتصوّر الإنسـان كيـف صـارت القـدس فـى أيـدى الغاصبين؟! كيف أصبحت مقيّدة و هى تبكى من فوارسها البواسل؟!

وفى موضع آخر يُبدى الشاعر مكنون ضميره بائحاً بحبّه العميق للحرم الأول:

«القدسُ تحتضن الرّجالَ الراحلين بحُلمهم/ و الجرحُ فى الأعماق غائر/ القدسُ مازالت تُحلّق فى القلوب../ و إن بدت فى الأفق أحزاناً تُكابر.» (المصدر نفسه: ٢٥٣)

فى السياق ذاته نجد الشاعر متيقناً من أنّ القدس سوف تحاصر الدجالين و الخائنين و كلّ هولاء الذين لايحرّكون ساكناً شأنهم كشأن الأموات غير القادرين على فعل شىء، و إنّ القدس سوف تُغرق الجثث الهامدة من ثم تُرشد إلى سبيل الرشاد المتمثل فى النضال:

« القُدسُ سوف تُحاصِرُ الموْتى/ ستَهدِمُ كلَّ جُدرانِ المقابرْ/ سَتطوفُ فوقَ شَواهدِ الأحياءِ/ سوف تَصيحُ مِن فوق المنابرْ/ يتدّفقُ الصّوتُ العتيقُ/ فيُغرقُ الجُثَثَ القديمة..ثمَّ يَبعثها/ و تَنْبُتُ مِن بقاياها الخناجرْ/ يا نُوحُ..لاتعبأ بِمَنْ خانُوا/ فَلَنْ يَنجُو مِن الطّوفانِ غَادِرْ»(جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٢٥٣)

تمّ استعمال اسم" نوح" ٤٢ مرّة فى القرآن الكريم، نوح هو شخصية قرآنية، ركب السفينة و مَن معه مِن الذين آمنوا به فنجوا فى نهاية المطاف من الطوفان، و مما هو جديرٌ بالذكر هنا أن نقول بأنّ كلمة نوح تذكّرنا بنزول العذاب الإلهى على منطقة كنعان و غرق الكافرين و غير العابئين بأوامر و توصيات سيدنا نوح(ع). و نرى الشاعر فى هذا المقطع يتناصّ مع شخصية النبى نوح(ع) الذى قد ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً " بالسفينة " فوظّف الشاعر الإشارة القرآنية بكلّ ما تحمله من دلالات النجاة من الهلاک و العذاب، و عند ذكر السفينة يُذكر معها " الطوفان " الذى يمثّل نقطة التحوّل و القلب، و من المعروف أن قوم النبى نوح(ع) انقسموا مقابل دعوته بين مصدّق و غيرمصدّق، بين مؤمن و كافر، كأنّ الشاعر يذكّر بأنّ هذا الباب المتجسّد فى قضية فلسطين

لايزال مفتوحاً أمام المنقسمين اليوم للولوج عبرهما، فلعلّ الدخول يعنى الثبات أمام معترک القضية، و المشاركة فى معركته بوصف المشارک طرفاً فيها، و الإيمان بأحقية القضية و مناصرته قلباً و قالباً، و البعد عن التقاعس و الخذلان و الإصرار على الوقوف فى وجه المحتلّ، و أمّا الخروج فلعلّه مخالفة هذا الدرب و خيانة القضية الفلسطينية، و النتيجة محسومة كما أنّ نتيجة الصراع الذى قام بين نوح و قومه أصبحت محسومة. مايمكن قوله خلاصة هو أنّ أصحاب الحقّ سينجون من الطوفان، و الغادرون و الخائنون سيغرقون و يتلاشون فى صخبه، و هكذا نجد الشاعر حاثّاً على الإنحياز إلى صف الحق و مُصراً على عدم الوقوف على الحياد و الأدهى من ذلک بكثير خيانة القدس و القضية الفلسطينية التى ليس لمرتكبيها مصير سوى الغرق و التلاشى فى الطوفان.

وهذا يدلّ أوضح الدلالة على مكانة القدس فى قلب الشاعر ذلک أنّها محطّ أنظار المسلمين و مهوى أفئدتهم و هى جزء من فلسطين بل هى غرّة جبينها و واسطة عقدها التى أسرى الله بعبده محمّد (ص) ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى و المحلّ الذى بعث الله فيه عيسى بن مريم عليهما السلام.

٤-٢: أطفال الحجارة

إنّ سلطات الإحتلال العسكرى غير المحترمة ضربت بِعُرْض الحائط حقوق الأطفال الفلسطينيين المسحوقين المحرومين من حرّيتهم، و أذاقتهم أصناف العذاب، و المعاملة القاسية و المهينة من ضرب، و حرمان من النوم و من الطعام، كما تمارس بحقّهم التهديد، و الوعيد، و الشتائم فضلاً عن التحرّش الجنسى و الحرمان من الزيارة، و إستخدمت معهم أبشع الوسائل النفسية و البدنية لانتزاع الاعترافات، كما تتمّ ضغوط متعددة على الأطفال بغية تجنيدهم

للعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية.

إنّ هذه الدولة المتسرطنة ترتكب هذه الجرائم بحقّ أطفال فلسطين على الرغم من أنّ الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان و تحديداً اتفاقية حقوق الطفل التى شدّدت على ضرورة توفير الحماية للأطفال، و لحياتهم، و لفرصهم فى البقاء و النموّ.

غير أنّ أطفال فلسطين لم و لن يستسلموا لكل هذه الممارسات و إنّهم بكلّ حجرة محطّمة و صرخة مدوّية يرمونها و يطلقونها فى وجه قوات الاحتلال يصبّون فى قلوبهم جام الرعب و الفزع و يضيّقون عليهم الأرض و يدكّون عرش الظلم و الطغيان دكّاً.

أفرد الشاعر قصيدة كاملة لأطفال الحجارة فى فلسطين المحتلة يحضّهم على الكفاح المسلّح بالأحجار و يحذّرهم من الاطمئنان إلى مصّاصى الدماء الذين يسفكون دم المحرومين:

«لن ينبت وطنٌ يا ولدى فى صدر سَجين/ لن يرجع حقٌّ فى أنفاس المخمورين/ حجرٌ فى كفّك يا ولدى/ سيفُ الله/ فلا تأمن/ مَن شربوا دمَّ المحرومين/ واهدم أبراجَ السفّاحين/ لتعيد صلاحَ .. إلى حطِّين.» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ٣٥٥).

كما يعلم الجميع أنّ الأحداث و الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهى بانتهاء وجودها الواقعى، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، و القابلة للتجدد؛ فدلالة البطولة فى قائد معين، أو دلالة النصر فى كسب معركة معينة ستظل باقية و صالحة للتكرار على مدى التاريخ(عشرى زايد،١٩٩٧: ١٢٠) و لهذا نرى الشاعر يستخدم من الموروث التاريخى رامزاً بسيف الله على طريقة غير مباشرة إلى خالد بن وليد الذى يُعتبر من قادة الفتوحات الإسلامية، إلى جانب هذا قد وظّف الشاعر من هذا الينبوع ذاته

شخصية أخرى –وهى اسطورة عربية يصبو إليها الشعر العربى المعاصر صبوة– وهى صلاح الدين الأيوبى الذى ارتبطت شخصية هذا القائد فى أذهان المسلمين بالتحرّر و الانتصار، فهو القائد الذى شغله همٌّ رئيس واحد، هو تحرير فلسطين من أيدى الغزاة الصليبين، فوجد الشاعر فى هذه الشخصية الملاذ و النخوة، و قد آمن بأنّ الأمة التى أنجبت قائداً محرّراً بحجم صلاح الدين قادرة على إنجاب قادة عظام آخرين يسطرون المجد لأمتهم، فى المحصلة تغدو عودة صلاح الدين رمزاً لعودة مأمولة، فهى عودة تحمل الأمل بالخلاص. من جهة، النقطة الأخرى المتمثلة فى عبارة سيف الله، هى تأكيد الشاعر على أنّ الأطفال الفلسطينيين تحت رعاية الله فالانتصار يلازمهم ماداموا يدافعون عن الإسلام و لو بسيوف الله الحجرية.

نظرة فاروق إلى أطفال الإنتفاضة نظرة اطيفة جداً فنراه يستمّر فى تحريض الأطفال على الإستعانة بأىّ وسيلة ممكنة فى سبيل النضال و لو كانت حجر قبر الأب الميت فيراهم صخوراً صمّاء تلدها أمٌّ باسم الإنتفاضة واحدة تلو الأخرى دون إنقطاعٍ، ثمّ يربط الشاعر بين الأجداد السابقين و الأجيال اللاحقين حيث يستمدّ الأطفال منهم القوّة للنضال و الأدهش من ذلك هو الإشارة إلى أنّ المتوفين من الفلسطينيين لم يتقاعدوا عن الإنتفاضة بعد الموت بل هم المشاركون مع الأحياء فى سبيل تحرير الوطن كأنّهم مصدر وحى للأحياء و أخصّ بالذكر الأطفال، فلذلک أنّ الطفل لا ينطلق إلى قبر أبيه بل يطوف حوله بمعنى أنّه يقدّسه فيسمع منه كلاماً يحرّضه على القيام ضدّ العدوّ الصهيونى. فالقبر حيّز مكانى ضيّق إلا أنّه يحوى الأجداد و الأصول، و يقف فى وجه الزمن، و يمنحنا الشعور بقوّة الأجيال الماضية على الصمود فى وجه التغيير، حتى و هم أموات أقوى.(حنان محمد موسى حمودة، ٢٠٠٦: ص١٠٥)

«الصخرة تحمل عند الليل/ فُتنجب عند الفجر/ و تنجب آخرَ عند الظهر/ و

تنجب ثالثَ عند العصر/ و مضيتُ أطوف بقبر أبى/ يهمس فى أذنى يا ولدى أعرفتَ السرّ؟ /حجرٌ من قبرى يا ولدى/ سيكون نهايةَ عصر القهر.» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ٣٥٢)

نلاحظ أنّ الشاعر يعلق الآمال على أطفال فلسطين و يعتقد جازماً أنّهم سينقذون الأرض المحتلة لأنّ هؤلاء هم الذين فى سبيل الوطن« يسقطون جرحى يسقون الأرض بدمائهم و يحملون نور الفجر فى عيونهم هؤلاء الأطفال الشياطين بأفعالهم الملائكية بطهرهم و عزيمتهم، هم أبنياء الفرح الذين يستخرجون فلسطين من رحم الأحزان.»(سعدون زاده،١٣٨٩: ١٦٠)

٤-٣: رفض السلم المبنى على الخنوع

لقد مضت قرابة سبعة عقود و نحن نعيش فى دوّامة أسموها العملية السياسية المضيعة للوقت التى لم يفض لحد الآن إلى نتيجة مرجوة و بعد مرور هذه الفترة الطويلة قد أدرک القاصى و الدانى جيداً بأنّ إسرائيل، هذه الجرثومة الفاسدة، لاتحترم من يؤيّد السلام و أنّها لاتفهم إلا لغة العصا بعد أن إلتهم كل الجزر التى قدمت لها، كما حصل و وافقت رغم أنفها و توقّفت عن الحرب بشكل أحادى الجانب على غزة حينما ضربت تل أبيب بالصواريخ، الحرب التى امتدت من ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨ يناير ٢٠٠٩.

ويجدر لفت الإنتباه هنا إلى أنّ الإسلام« لايقبل السلم كأصل ثابت يلزم ترک القتال، و لايقبل الحرب فى كلّ الظروف صفوة القول ليس له قرار محدّد واحد فى هذا الشأن، إنّما يعتقد الإسلام بأنّ الكفاح و السلم خاضعان للظروف و الأوضاع السائدة، فمن المتعيّن على المسلمين أن يتأمّلوا حول الأوضاع و الظروف التى يعيشونها و إن كان الإقبال على القتال و الكفاح هو أفضل فى سبيل التوصّل إلى الأهداف المنشودة فيختاروه، و إن وصلوا إلى نتيجة تنصُّ

على أن السلم يناسبهم وفق متطلّبات زمنهم فيسلكوا هذا المسلک.»(مطهـری، ١٣٨٨: ٧١-٧٠)

والآن لقد ذاب الثلج و بان المرج و كلّ شیء أصـبح واضـحاً و مكشـوفاً للمتيقّظين من الأمة الإسلامية بأنّ عملية المفاوضـات مـع هـذا الخنجـر فـی خاصرتها كلّها يعنی هدراً للزمن و الجهد و إضاعة للوقت الذی يصبّ جملتـه لصالح تكريس الإستيطان و الإحتلال؛ لأنّ هذا المحتلّ الغاشم يعتقد أنّ ما أخذ بالقوة لايستردّ إلا بالقوة، فهو لن يتخلّی عن إجراءاته العدوانية و العنصرية مـا لم يلج الجملُ فی سمّ الخياط.!

ولهذا يتصدّی جويدة للواقع الرديء و يستنكر المسالمة مع العدوّ معبّراً عن قناعته بأنّنی« مازلتُ ضد التطبيع.. و مازلتُ ضد عملية السلام مع إسرائيل و لو تـمّ فسـوف أرفـع يـدی مـن القبـر محتجّـاً إذا لـم يكـن سـلاماً عـادلاً للجميع.»(جويدة: مجلة عربيات الدولية، لقاء على الانترنت مع الشاعر القـدير فاروق جويدة) و يری أنّه لا ثمرةَ لها إلّا الخراب، و الدمار، و العار، و علينا أن نحمی أنفسنا و أرضنا بأیّ وسيلة ممكنة من السيف، و القلم، و ما إلى ذلک:

منـذُ ابتُلينـا بـداء السِّـلم شـرَّدنا ... *بين الجموع خـرابُ الأرض و الـذِّمم*
فالسلمُ بالعجز تـابوتٌ .. و مقبـرةٌ ... *وثوبُ عـار .. ودعـوى كـلّ منهـزم*
والسلمُ بالسـيف أوطـانٌ مُحـرَّرةٌ ... *و نخوةٌ فی ضَـمير الشـعب لـم تـنم*
السلمُ أن يحرس الفرسانُ رايـتَهم ... *و أن نصون الحِمَی بالسيف .. و القلـم»*

(جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٤١٦)

لعل قول الشاعر ينسحب على هذه الأيـة الكريمـة القائلـة:(**فَـلا تَهنـوا و تَدعوا إلى السلْم و أنتم الأعلون و اللهُ معكم.**)(محمد:٣٥)، فـی هـذه الآيـة يحذر الله سبحانه و تعالى المسلمين من تجنب القتال و تركه بأی ثمن كان، ما بالنا أن نقبل السلم و نرزح تحت وطأة هذا الخزی و الهـوان؛ و القـدس أرض

الإسراء و المعراج بأيدى الصهاينه الخبثاء.

والجميع يعرف جيداً أنه «لن يكون سلام فى المنطقة إلا على أساس العدل، و الكرامة، و حقّ تقرير مصير الشعب العربى فى فلسطين و هو جزء من الأمه العربيه الإسلامية و تطهير القدس الشريف و هو جزء لا يتجزأ من الكيان الإسلامى و الأماكن المقدسة لدى المسلمين، و الجهاد لإستخلاصه من براثن الصهيونية فرض عين.»(بنجر،١٩٧٤: ٨)

نلاحظ الشاعر فى قصيدته الجميلة و الملفتة للإنتباه" متى يفيق النائمون" كأنه يرى بالعين الثاقبة و الساهرة التى لاتنام، الشهداء يخرجون من الأكفان و يعودون للحياة مشاهدين على مضضٍ ما آل إليه أمر المسلمين من التشرذم و الهوان و كأنه يسمع بالأذن الصاغية صراخهم: عار عليكم أيها المستسلمون وطن يُباع و أنتم نائمون:

« شُهداؤنا فى كلّ شبر يَصرُخون:/ يا أيُّها المتنطّعونْ/ كيفَ ارتَضيْتُم أنْ ينامَ الذّئبُ/ فى وَسطِ القَطيعِ..وتأمُنون؟!/وَطنٌ بعَرْضِ الكَون يُعْرضِ فى المزادِ/ و طُغمةُ الجُرذانِ../ فى الوطنِ الجريحِ يُتاجرونْ!!/ يا أيُّها المتَشَرذمونْ/ و الله إنّا قادمونْ/ و لَاتحسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا فى سَبيل الله/ أمواتاً..بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ ربِّهم يُرزَقونَ.»(جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٤٧٢)

إنّ الذئب فى هذا المقطع أُتُّخذ رمزاً للكيان الصهيونى، هذه الشوكة الصلبة فى عين العالم الإسلامى التى قامت بأبشع الأعمال و عاثت فى البلاد فساداً و إفساداً و برزت بين الأمة الإسلامية كبروز الذئب وسط القطيع، و الأغرب بل الأنكى هو أنّ هذا الذئب قائم بوضعه و طغمة الجرذان التى ترمز للحكام الخونة، تناسوا هذا الذئب و تغلّبت عليهم المصلحة الشخصية و انشغلوا بالمتاجرة على حساب الوطن و انغمروا فى مستنقع الانقسام و الخلاف. هذان الرمزان يدخلان فى دائرة الرموز الشخصية التى أبدعها الشاعر للتعبير عن

حالته العاطفية و تجربته الشعورية التى مرَّ بها. و فـى نهايـة المقطـع يمـارس التناص تناصاً لفظياً مع آية ١٦٩ من سورة آل عمران بعد التوطئة المناسبة لهـا تجعلها تتلاءم مـع الموقـف الاتصـالى الجديـد و موضـوع النص.(پروينـى و عمورى،١٤٣١ق:١٥١)

اليوم لابدّ من التساؤل عمّا حقّقته سياسة التصالح مع الكيان الصهيونى، هل كانت النتيجة سوى ازدياد الشهية الإسرائيلية لممارسة مزيد من الظلم و القمـع فى حقّ المضطهدين؟!

على هذا المطلوب العاجل فتح الجبهات الإعلامية و القانونية الدولية لـيس فقط فى مسعى حقيقى و مسؤول لنزع الشرعية الدولية عن دولة الاحتلال بل و لجلب الدولة المصطنعة و جنرالات الحـرب و الإجـرام فيهـا إلـى الجنايـات الدولية، و على القيادات الإسلامية و نخصّ بالذكر الفلسـطينية أن تتّبـع القـول الصادق فى هذا السياق« لايلدغ المؤمن من جحر واحد مـرّتين.» (البخـارى، ٢٠١١، كتاب الأدب: ١١٠١) فنرى الشاعر يتمسک بتكرار كلمـة السـلم كـى يتنبّه الشعب لمخاطره المتلاحقة و للدغه إيّاهم عشـرات المـرات و آن الأوان لعودة اليقظة الفلسطينية و لأن تتحمّـل القيـادات مسـؤولياتها التاريخيـة و إلا فلتتحمّل هذه المسؤولية التاريخية عن الإخفاق، و الفشـل، و الهـدر للوقـت و الأرض و الحقوق.

«السلمُ بضاعة محتال و بقايا عهد الأصـنام/ و السـلم العـاجز مقبـرةٌ .. و سيوف ظلام/ لاتأمن ذئباً يا ولدى أن يحرس طفلاً فى الأرحـام/ لـن يصـبح وكر السّفاحين و إن شئنا .. أبراج حَمام.» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ٣٥٥)

٤-٤-الدعوة إلى الكفاح

الأمة الإسلامية هى أمة جهاد و مجاهد: علـى مسـتوى الـنفس و الميـدان. و

تاريخها تاريخ جهاد بما فيه من عدّة، و عتاد، و كرّ، و فرّ، و صر، و فتوحات، و بطولات، و ملاحم، و مرابطة ....

وفى الإسلام« شرع الجهاد فى سبيل الله ليكون أعظم وسيلة لحماية القيم الإنسانية، و حمل رسالة السماء، و تحقيق الأمن ضد الاعتداء الخارجى، و إزالة الطواغيت، و الحكام الظالمين، و المستبدين، و المتسلطين على شعوبهم.»(الزحيلى،١٩٩٣: ١٦٨)

وليكن النبراس فى هذا المجال قول اللّه تعالى:**(إنَّ اللهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتَّى يُغَيِّروا ما بِأنفُسِهِم.)** (الرعد: ١١) فمهما نتضرّع و مهما نقدّم من صلوات و أدعية فلن يكون ذلک كافياً لتبليغنا ما نريد. ففى يومنا هذا نشاهد رأى العين أنّ المسلمين يئنّون تحت وطأة هيمنة القوى السلطوية على رأسها إدارة أميركا التوسعية و الإستهتار الإسرائيلى و يعانون أيضاً من التخلّف المهين، و ضيق الحال، و سوء الحكّام و قهرهم، و من التفرّق القاصم للظهور. بالطبع الدول الإستعمارية و معها الكيان اللقيط لاتريد إستقراراً و لا أمناً لسائر الدول و شعوبها بصفة عامة و للأمة الإسلامية بصفة خاصة إلا ذلک الذى يؤمّن لها مصالحها و استمرار هيمنتها التى لايقف عند حد، لكن هذه المعانات التى يتكبّدها المسلمون هى بمثابة محک يصقل إرادتهم و يعضد من تصميمهم على ابتغاء الحرّية دون تعويل على منقذ خارجى أو إستسلام لهمجية داخلية.

لهذا يطالب الشاعر العدوّ فى قصيدته الشهيرة «إرحل» بالرحيل و النأى عن الأرض المطهّرة ، مخاطباً إياه:

«ارحل عن القدس .. و اترک ساحةَ الحرمِ — هل يلتقى الطهرُ يا خنزير بالرِّمم؟!
كيف اجترأتَ على أرض مطهّرة — أسرى بها خيرُ خلق الله و الأمم؟!
لوّثتَ بالعار أعتاباً مباركة — و جئتَ كالكلب .. فى حشدٍ من الغنم»

(جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٤١٤)

نجد الألم يبلغ بجويدة أقصاه؛ و ربما لذلک نراه يستخدم الشكل الموروث

من القصيدة الحديثة و ليس الشكل الحرّ، ذلک أنّه ربما يريـد أن يُظهـر بهـذه النبرة العالية و الإيقاع الفخم جسامة الحقد و الكراهية التى يُضمرها إزاء العدو الصهيونى و أن يؤكد من خلال ارتفاع النبرة و صرامتها إصرار المقاومـة علـى الاستمرار رغم و حشية العدو و رغم كلّ التضحيات التى يجـب أن تُقـدَّم فـى سبيل تطهير هذه الأرض من العدو الصهيونى و لهذا يصوغ الشاعر هذه الصرخة فى شكل موسيقى كلاسيكى بارز الإيقاع. و غنى عـن البيـان أنّ الشـاعر فـى البيت الثانى إستحضر قضيّة الإسراء و المعراج و مارس تناصّـاً إشـاريّاً معهـا هادفاً من وراء هذا العمل الإيحائى أن يذكّر القارئ بالقيمة المثاليّة لهذه القطعة الغالية فى ضمير كلّ مسلم من ناحية و أن يقلّب صورة التاريخ محرّضـاً إيّـاه على تذكّر و إستعادة تلک الصورة المشرقة من التاريخ الإسـلامى مـن ناحيـة أخرى؛ كما أنّه يندّد عدوّه الـذى يناديـه باسـم الخنزيـر و الكلـب، بأسـلوب الإستفهام و ما فيه من شدة التحقيـر و التـوبيخ و السـخرية ؛ هكـذا يحـاول الشاعر أن يستحثّ الآخر على الاستضاءة بالتاريخ فى محاولة لتغيير الواقع بما يتلاءم معه، و ما ذلک سوى تعبير عن الجنوح الشـديد لجويـدة إلـى التغييـر بالاستناد إلى الموروث التاريخى.

على هذا يندّد جويدة المسلمين معتقداً بأنّ الأمة بحاجة ماسة إلـى الثـورة فى الأفكار، و التنوير، و العقلانية من أجل تكريس الحرّية قبل حاجتهـا إلـى الثورات الجماهيرية دون مرتكزات فكرية فضلاً عن المبارزة بالسيف و ما شابه و تجنيبهم الوقوف مكتوفى الأيدى أمام الأعـداء قبـل أن تقـع الفـأس علـى الرأس، و هو يستمد هذه الأفكار من الإسلام لأن« قوة الإسـلام قـوة محـررة تنطلـق فـى الأرض لتـدک قواعـد الظلـم، و الاسـترقاق، و الاسـتغلال.» (قطب،٢٠٠١: ١٥٦)

ولهذا إن شاعرنا يرى أن الأمة حين فقدت روح البطولة و النضال قد قبعت

فى سجون الظلمة و الخمول، و الأعداء هم الذين قد سلبوا منهم هذه الروح بطرق مختلفة، يقول الشاعر:

«*ممّن نخافُ .. ألم نعرف أعادينا؟ / أعداؤنا .. من أضاعوا السيفَ من يدنا /وأودَعونا سجون الليل تَطوينا.*» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ١٨٢).

إنّ ثمة قصيدة تحمل عنوان" *ملعون يا سيف أخى*" التى كتبها الشاعر بعد طلب الفلسطينين المحاصرين فى لبنان من هيئة علماء المسلمين إصدار فتوى شرعية تُبيح لهم أكل جثث موتاهم حتى لايموتوا جوعاً، إليكم هذه القصيدة التى تمزّق القلوب:

« لَمْ آكلْ شَيْئاً/ مُنْذُ بدَايَة هَذا الْعَامْ/ وَالجُوعُ القَاتِلُ يَأْكُلُنِى/ مَنْ مِنْكُمْ يمَنحُنى فَتْوى باسْمِ الإسْلَامْ؟/ أن آكُلَ ابْنِى/ ابْنى قَدْ مَاتْ/ قَتَلُوه أَمَامِى/ قَدْ سَقَطَ صَرِيعاً/ بينَ مَخَالِبِ جُوعٍ لَا يرْحَمْ/ بَعْدَ دَقَائِقَ سَوْفَ أَمُوتْ/ أُعطُونِى الفُرصَةَ كَىْ أَنْجُو/ مِنْ شَبَحِ المَوْتْ/ لَاشَىءَ أَمَامِى آكُلُهُ..لَاشَىءَ سِوَاهْ.» (المصدر نفسه: ٣٦٤-٣٦٣)

ما ينبغى أن يقال ابتداء هو أنّ القضية تعود إلى عام ١٩٧٦ حينما إنطلقت المقاومة الفلسطينية و عظم تواجدها فى لبنان و أصبح الفدائيون مصدر خطر على الصهاينة و أمنهم، و أخذوا بإثارة موارنة لبنان ضد الفلسطينين و كانوا فى ضيق من وجودهم أصلاً، و ازداد حقد الموارنة مع زيادة التأييد الشعبى من قِبَل مسلمى لبنان للمقاومة الفلسطينية فاندلعت الحرب الأهلية؛ و كانت الغلبة للفلسطينين و مسلمى لبنان لولا تدخّل الجيش البعث الأسدى لصالح الموارنة فحاصروا الفلسطينين فى مخيّم اليرموک فى لبنان حيث تمّ قطع الماء، و الكهرباء، و الطعام عن المخيّم لمدة تتجاوز الاثنين و خمسين يوماً ما أدّى إلى طلب الفتوى لأكل جثث الشهداء.(شلّح، ٢٠٠٧: ٤٣) الشاعر فى هذه القصيدة المؤلمة التى تحرق القلوب و تُدمع العيون يصوّر الأوضاع المأساوية التى

تعرّض لها الفلسطينيون المحاصرون على لسان أب مات ابنه جوعاً و هو يريد أن يأكل من جثّته حتى لايلقى مصير ابنه العزيز الذى حمل فى قلبه من آمال و أمانٍ أراد له أن تتحقّق فى المستقبل، و اليوم يرى بأمّ عينه ذبول زهرة آماله و الأدهى من ذلک هو مُضطرّ اليوم إلى أكله حتى لايموت جوعاً فنرى شدة اضطراره فى استخدام هذه السطور القصيرة التى تدلّ على المجاعة و عدم مقدرته على التكلم المطنب. يتابع الشاعر بالقول على لسان هذا الأب المسكين:

«لَاتَنْزَعِجُوا../ لَسْتُ بمجنُون..أو قَاتِلْ/ فَأنا صَلَّيتُ الفَجرَ ورَبِّ الكَعْبَة عشرَ سنِينْ/ لَمْ أتْرُک فَرضاً/ لَنْ آكلَ شَيئا مِنْ ابْنِى يَا زَمَنَ العَارْ/ سَأظَلُّ أقَاومُ هَذَا العَفَنَ/ حَاربتُ كَثِيراً أعْدَائى/ لَمْ أهزَمْ مِنْهُمْ/ حَارَبَنِى ظِلِّى/ حارَبَنِى سَيْفِى..يَا لَلْعَار/ مَنْ مِنْكُمْ يَمنَحُنى فَتْوَى بِاسْمِ الإسْلَامْ/ أنْ أقْتَلَ يَوْماً جَلَّادِى/ وأُحطِّمَ..كُلَّ الأصْنَامْ؟!»(جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ٢٧٨ – ٢٧٥)

فى هذا المقطع نرى هذا الأب يحاول أن يقول بأنّى لستُ بإنسان مجنون لايعى ما يفعل بل إنّى مسلم ذو اعتقاد أؤدى واجبات الدين الإسلامى و لم أترک لحدّ الآن فرضاً من فروض الدين، و إنّ إقدامى على الأكل لاينبع من جهالتى أو جنونى، هكذا نراه يتألّم من هذه القضية المُبكية، و فى النهاية نجده لايستسلم لجوعه و يعتزم على المقاومة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة من ثمّ يُعلن بأنّى حاربتُ كثيراً أعدائى و لم إنهزم يوماً ما منه لكنّ الذى يزيد الطين بلّة هو أنّنى اليوم أحارب سيفى و ظلّى الذى يرمز بها إلى إخوانه العرب من القوات السورية التى حاصرت المخيّم، و ساهمت فى حدوث هذة الكارثة، و فى نهاية الأمر يطلب فتوى باسم الإسلام حتى يحارب الجلّادين برمّتهم و يُميط اللثام عن وجوه هذه الأصنام الزائفة الكاذبة..!

فى إحدى قصائده المعنونة" مرثية حلم" نجد الشاعر يستدعى الرموز

التراثية و يُضفى على عمله الشعرى بهذا الطريق« عراقة و إصالة، و يمثّل نوعاً من الامتداد الماضى فى الحاضر، و تغلغل الحاضر بجذوره فى تربة الماضى الخصبة المعطاء، كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول و الكلية؛ إذ يجعلها تتخطى حدود الزمان و المكان، و يتعانق فى إطارها الماضى مع الحاضر.» (زايد، ٢٠٠٨: ١٢١).

فالشاعر فى هذه المقاطع ينفح الأمة بنفحات الثورة و يدعوهم إلى الإنتفاض قاصراً وسائل البقاء فى السيف و المعدّات الحربية الأخرى و لايقبل بتاتاً التنازل، و قد ورد الإستفهام هنا بمعنى العتاب و الحيرة بما أنّه قد وقع موقع الحيرة و اندهش من هذا الوضع الذى تعيشه الأمة و عدم وجود مقاومة تُذكر فى وجه الخصم معترفاً أنّنا لن نستطيع التوصّل للشهد من دون التعرّض لإبر النحل:

«*هل من زمانٍ يُعيد السيفَ مشتعلاً ؟/ لا شىءَ و الله غيرُ السيف يُبقينا / يا خالدَ السيفِ لاتعجب ففى زمنى/ باعوا المآذن.. و القرآن راضينا/ قُمْ من ترابک يا ابن العاص..فى دمنا/ ثأرٌ طويلٌ..لهيبُ العار يكوينا*

قم يا بلالُ..و أذِّن..صمتنا عدمٌ/ كل الذى كان طُهر لم يعُد فينا/ هل من صلاح بسيف الحق يجمعنا

فى القدس يوما فيُحييها..ويُحيينا؟» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ١٨٦)

هذه الشخصيات التاريخية أو الرموز التراثية التى ذكرها جويدة فى القصيدة تندرج ضمن الأبطال الذين صنعوا مجد الدولة الإسلامية و قاموا بتوسيعها و الدفاع عنها، و قد وظّف الشاعر هذه الشخصيات فى إطار المفارقة التصويرية لإبراز حدة التناقض بين روعة الماضى و تألقه و ظلام الحاضر و تدهوره، و يريد أن يُظهر من خلال المقابلة بين ما يمثّله خالد بن وليد، و عمرو بن العاص، و بلال، و صلاح الدين الايوبى من انتصار و مجد و عزيمة صلبة-

حسب إعتقاد الشاعر– و ما يمثّله واقعنا المعاصر من ضعف، و إنكسار، و هزيمة، مدى عمق هذة الهوة التى تفصل بين الأمس و اليوم و مدى إتساعها .

ولا ريبَ فى أنّ هذا الجزء يوضح التزام جويدة خير إيضاح، فقضيته هى قضية الشعب الجبان الذى لايقف فى وجه المتغطرسين المتحجّرين الذين يريدون أن لاتقوم لنا قائمة، فينعى عليه استسلامه و سكونه و لهذا يعترى الشهداء الدهشة لما يقوم به الأحياء و لما يصيبهم الخوف مرتعدين بين يدى أمريكا؛ إذ يصلبون يومياً و لايحرّكون ساكناً، فعليهم أن يفتحوا أعينهم على الحقيقة ليروا ما يحيط بهم من الشر، و الفساد، و الهلاك وليعملوا على الخروج من أوضاعهم السيئة؛ حريٌّ بالذكر أنّ الشاعر فى نقاط مختلفة من ديوانه يتصدّى لتساؤل الشهداء من الشعب كأنّه يشعر بمسؤولية خطيرة أمام دماء هم فيسمع دويّ دعوتهم إلى النهضة دوماً:

«*شهدائونا فى كلّ شبر ../فى البلاد يزمجرون/ جاؤوا صفوفاً يسألون:/ يا أيّها الأحياء ماذا تفعلون؟!/ فى كلّ يوم كالقطيع على المذابح تُصلبون!!/ تتسرّبون على جناح الليل/ كالفئران .. سرًّا للذئاب تُهرولون/ و أمام أمريكا ...*» (جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٢٧٢)

وفى المقطع اللاحق يثمّن جويدة دم المقاتل مذعناً بأنّه لايوجد شىء أكثر قيمة منه؛ هذه المادة هى التى تسطّر بها أروع صفحات التاريخ؛ ذلک أنّ الشهداء ضرورة لتسوية النتوءات القبيحة فى حياة الأمم وفتح الثغرات فى الطريق المسدود أمام ميلاد حضارتها و يدلّ استقراء تاريخ الحضارات أنّ روح البطولة و الشهادة مؤشّرٌ على ميلاد حضارة جديدة فإذا رأيت أمة تبذل الشهداء بسخاء فاعلم أنّها فى فجر حضارتها فإذا رأيت أمة تبخل بالشهداء فاعلم أنّ حضارتها فى إدبار. نحن أمة القرآن، لنا نظريتنا الكونية الخاصة فى هذا المضمار، حيث نؤمن بأنّ اللّه تعالى يتّخذ منا الشهداء إكراماً لهم ولنا. (كُتِبَ

عَلَيكُمُ القِتالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُم وَعَسَى أن تَكرَهوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُم وَعَسَى أن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأنتُم لاتَعلَمونَ.) (البقرة: ٢١٦)

فى هذا السياق نجد الشاعر مستخدماً الاستفهام بمعنى النفى:

«لا شيءَ أغلى من دماء مُقاتل بالدمِّ يكتب أروعَ الصفحاتِ
والآنَ نرسم بالدماء طريقَنا هل بعد عطر الدمِّ من كلماتٍ؟!»

(المصدر نفسه: ۴۴۲)

يؤمن جويدة بأنّ الدماء تكتب صفحات التاريخ وهى يجب أن تكون القول الفصل فى تسوية القضية الفلسطينية و ليس التفرج على مسرح مفاوضات السلام، و طريق فلسطين فى رأى الشاعر له طريق واحد لاثانىَ له، و هو يمرّ من فوهة بندقية، فلاحلَّ إلّا بالسيوف المسلولة لأنّ العدو لايعرف لغة إلّا لغة القوة و يستخدم مشروع السلام لكسب الوقت و تثبيت مخالبه فى فلسطين و القدس خاصة.

۴-۵-الدين عامل الوحدة

ليس من شک بأنّ وحدة الأمة من أهم عوامل استمرارية وجودها، و حيويتها، و قوتها، و أنّ المحافظة على هذه الوحدة و مقاومة أفعال التدمير و التجزئة و التفتيت لهذه الوحدة من أولى واجبات القيادات السياسية و الفكرية الذين يقع عليهم عبء تأكيد وحدة الإسلام و المسلمين ضد عدو يغتال الأقصى، و من أولى واجبات كل فرد من خلال بث الوعى التفصيلى بهذه الاستهدافات.

ولعله ليس هناک أوضح مما جاء به المفكر الإسلامى *سيد قطب* فى كتابه *قضية التنوير فى العالم الاسلامى*: «و لا أمل لهذه الأمة إلا بالرجوع إلى الإسلام. هو وحده الذى يمكن أن يبعث الأمة بعثاً جديداً تسترد فيه عافيتها، و تنطلق من جديد.»(قطب،٢٠٠٢: ٩٧) فالدين إذا أدرک كما هو حقّه و طبّق

قدر مستطاع الإنسان ستزال الخلافات كلها. و يشدّد سيد *قطب* على هذه النقطة مضيفاً:« يوماً بعد يوم يتبين أنّ هنالک طريقاً معيناً للشعوب الإسلامية كلها فى هذه الأرض، يمكن أن يؤدى بها إلى العزّة القومية و إلى العدالة الاجتماعية إلى التخلّص من عقابيل الاستعمار، و الطغيان، و الفساد.. طريقاً وحيداً لا ثانى له، و لا شكَّ فيه و لا مناص منه.. طريق الإسلام و طريق التكتّل على أساسه.»(قطب، ٢٠٠٥: ٦٢)

جويدة كمسلم يرى أنّ الدين هو الذى بوسعه أن يوحّد صفوف المسلمين و يغنيهم عمّا سواه إذا اعتبرناه فى مفهومه العام الشامل حيث إنّ المسلمين فى الوقت الراهن نظراً لحجم التحديات و ما أصابهم من اليأس نتيجة الإحباطات التى مرّوا بها، يحسون بحاجتهم الماسة إلى قدر كبير من التماسک، و التآلف، و الوحدة التى لن تتحقق إلا فى ظلّ الإسلام فلذلک يتحسّر على عدم حضور النبىّ (ص) فى أيامنا هذه غير أنّ فاروق يقصد تنويهاً غير مباشر عن الحكّام العرب الذين هم منشغلون بأعمال ليست لصالح الأمّة العربية عن توحيدها تحت راية الإسلام و جمع شملها المتفتّت:

«أين الإمامُ رسولُ الله يجمعنا؟/ فاليأسُ و الحزن كالبركان يُلقينا/ دينٌ من النور .. بين الخلق جمَّعنا/ و دينُ طه .. و ربِّ الناس يُغنينا.» (جويدة، ٢٠٠٧: ٢/ ١٨١)

وفى المقطع التالى يعاتب شاعرنا الحكام على مواقفهم و ينتقد تصرفاتهم فى الحكم و قناعتهم من الحكومة باسمها و يبدى رأيه عن الخلاف الذى برز فيما بينهم، الذى جرّ البلدان الإسلامية نحو الضياع؛ بحيث باعوا المظاهر الدينية كلّها، و بالطبع المقصود من هذا الاختلاف ليس المشروع منه بل المراد هو التفرّق المذموم « و الحق أنّ الاختلاف فى ذاته ليس خطراً، و خصوصاً فى مسائل الفروع و بعض الأصول غير الأساسية، إنّما الخطر فى التفرق و التعادى

الذى حذّر الله و رسوله منه.» (القرضاوى،٢٠٠١: ۶):

«*حكّامُنا ضيّعونا حينما اختلفوا*

باعوا المآذنَ .. و القرآنَ .. و الدينا» (المصدر نفسه: ١٨٢)

هنا نشاهد بوضوح و جلاء أنّ الشاعر يشتكى من خيانة الحكام الفاسدين حينما انقسموا و تشرذموا، فلعل السبب يعود إلى تخليهم عن الدين و الحطّ من مكانته و بيعه من أجل المصالح الدنيوية. و المأذنة و القرآن لهما دلالة خاصة فى الثقافة الإسلامية و يرمزان إلى عمق الدين الإسلامى، و ربما أراد الشاعر أن يعبّر من خلال هذه الرموز الدينية الواضحة النابعة من الثقافة العربية الإسلامية عن مدى ابتعاد هذه الحكام عن الدين و مبادئه.

هكذا تطبق الظروف القاسية على الشاعر فليس يدرى ماذا يفعل بشعب لم تعد تفرّق بين دور العبادة و مراكز الفساد، فيتساءل على سبيل التعجب كى يحرّضهم على القيام و الدفاع عن الدين الإسلامى:

«*ماذا سيبقى من شعوب/ لم تعُد أبداً تفرِّقُ/ بين بيتٍ للصلاة .. و بين و كرٍ للبغاء؟*» (جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٣٥٨)

بعد أن ازدادت أحوال البلاد سوءاً و انجرّ نفسه بعض الشيء نحو اليأس و القنوط، تألّق فى سماء قلبه الاشتياق نحو الدين الحنيف من أجل استعادة الأمجاد العريقة و المآثر التاريخية و تمزيق سحب الضلال:

«*نشتاقُ مجداً عريقاً كان يجمعنا الحبُّ وحيٌ .. نور الحقّ محرابُ*

نشتاق ديناً طهوراً .. لاتمزّقه دعوى الضلال .. ولا يحميه نصّابُ.»

(المصدر نفسه: ٢٩)

الوحدة العربية و الإسلامية حلم استوطن أعماق الشعراء المسلمين، و أمل طالما تطلعت إليه أبصارهم و هم يرون أمجادهم التى شادها آباؤهم و أجدادهم تتهاوى على مرأى منهم و مسمع، بينما يغطُّ أحفاد أؤلئک الأبطال فى

سبات عميق، متمادين فى إشعال نار الفرقة بانقساماتهم حتى أمست بلدانهم نهباً لكل من هبّ و دبّ و قد كانوا أولى بالعزة و المنعة و مما ساعد على تعميق ذلک الإحساس فى عالم الشعراء الوجدانى، و أهاب بهم على الإلحاح فى دعوتهم لتلک الوحدة هو هبوب العواصف المدمّرة المجتاحة العديد من الأمصار الإسلامية و فى مقدمتهم قضية فلسطين المنطوية على الكثير من المصائب و المحن التى ليست سبباً لاستمراريتها سوى تشرذم المسلمين لذلک نرى جويدة فى الجزء الآتى يستنهض الهمم و يودّ أن يجمع القدس المسلمين داعياً إلى الوحدة فى صورة مباشرة:

«إنّا على العهد عند القدس يجمعنا فجرٌ وليدٌ بدا فى صحوة الهممِ
فلنعتصم بلواء الله فى جلَدٍ و اللهُ للحقّ دوماً خيرُ معتصَمِ»

(المصدر نفسه: ١٩)

فى البيت الثانى، من المقطوعة السابقة تتجلى اللغة القرآنية؛ إذ يتناصّ الشاعر تناصاً تحويرياً مع قوله تعالى:**(وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعَاً وَ لَا تَفرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِه إِخْوَانَاً.)**(آل عمران/١٠٣) و من المفيد التذكير بأنّ سبب نزول الآية الكريمة يعود إلى اختلاف قبيلتى الأوس و الخزرج الذى كاد أن يتحول إلى معركة دامية بينهما لولا تدخّل النبى الأكرم(ص) الذى حال دون ذلک و جعلهما بفضل تعاليمه الإهية إخواناً و قوة لايستهان بها بعدما كانوا خصوماً متعاركين و الشاعر هنا يريد أن يذكّر بأن المسلمين لو اعتصموا بحبل الله و تركوا اختلافاتهم إلى جانب لإستعادوا قوتهم التى لن تسمح بتاتاً بهيمنة الأعداء على الأمة الإسلامية و بوجود القدس الشريف بأيدى الصهاينة الملطخة، و سبق أن عبّر الإمام الخمينى عن استيائه من تواكل المسلمين و تقاعسهم أمام قضية فلسطين، قائلاً: « لقد مرّ عشرون سنة و أنا أناشد البلدان

العربية اجتماعهم لدحر هذه الجرثومة الفاسدة التى تشبه و رماً خبيثـاً يكبـر و ينتشر بسرعة فى جسد الأمة الإسلامية. لن تكتفى إسرائيل ببيت المقـدس لـو تسنّمت ذروة السلطة و استقام لها الأمر، لكن للأسف الشديد لاتنفعهم النصيحة. أسأل اللّه تعالى أن يوقظ المسلمين.» (الإمام الخمينى،١٣٧٨: ٩٥)

٤-٦-التطلّع إلى مستقبل واعد

كلّمـــا ذاق كـــأس يـــأس مريـــر جـاء كـأس مـن الرجـا معسـول

(رشيدرضا، ١٣١٧: ٢/ ١٦١)

روح العقيدة الإسلامية روح متنامية ديناميكيـة متفتّحـة؛ لـذلک يجـب أن تعطى كلّ الإمكان لمتابعة رسالتها التنموية. بناء على هذا يحذّرنا اللّه و أولياؤه من الانجراف فى دوامة اليأس بل يبعثون الهمم فـى نفـوس أبنـاء الإسـلام و يحثّونهم على تعليق الآمال بالمستقبل الواعد.

إنّ الشاعر يعد مخاطبيه بتذوّق طعم النصر الحلو بعد أن ذاقـوا علقـم الظلـم و الاستبداد:

«*إنّ الشعوب و إن تمادى الظلمُ ../ سوف تدقُّ أعناق السماسرة العظام/ إنّ الشعوب و إن توارت/ فى زمان القهر ../ سوف تُطلُّ من عليائها/ و يعود فـى يدها الزمام/ فارفع جبينک نحو ضوء الشمس/ إنّ الصبح آتٍ .. لن يطول بنـا الظلام.*» (جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٤٥٢)

و ستطرد قائلاً إنّ القهر لم يكتب له البقاء بل حكم عليه الفناء و لابدّ له من الرحيل و للطغاة من السقوط:

«*وعصرُ القهر يطويه الفناء / كلُّ الطغاة..وإن تمادى ظلمهم/ يتسـاقطون..*»

(المصدر نفسه: ٣٣٩)

بعد أن أصبحت القدس كالبركان الثائر مكتسحة الرواكـد الموبـوءة موديـة

بحياة الجور قاضية على الخوف و الفزع:

«القدسُ سوف تعود كالبركان/ تكتسح الزمانَ الراكد الموبوء ../ تُشرق فى دجى الليل البصائر/ ستعلّم الأطفالَ نطق الحرف ../قتلَ الظلم .. وأدَ الخوف ..»
(المصدر نفسه: ٢٥٤)

يستمرّ الشاعر فى رسم مستقبل واعد للقدس متأثّراً بالنصّ القرآنى، فيستغلّ كثيراً من مفرداته التى بناها فى نصّه بناءً يوافق معناها الوارد فى القرآن الكريم و نشاهد الشاعر فى المقطع التالى يحلم بعودة هذه الأرض المقدّسة أرض الأنبياء الكرام من براثن الصهاينة الخبثاء مخاطباً سيّدنا محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على طريقة غير مباشرة منادياً إيّاهم:

«يا ليلةَ الإسراء عُودِى بالضّياءْ/ هُزِّى بجذعِ النَّخلة العَذراءْ/ يسَّاقَطُ الأملُ الوليدُ../ عَلَى رُبوع القُدسْ../ مازلْتُ أحلُمُ أن أرَى قبلَ الرَّحيل../ رَمادَ طَاغية تناثَرَ فى الفَضاءْ/ مازلْتُ أحلُمُ../ أنْ يُطِلّ وجهُ الله بينَ رُبوعنا/ و تعود.. أرضُ الأنبياءْ.»(جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٣٦١)

من خلال هذه القصيدة نتفهم أنّ الشاعر جعل النبى الأعظم رمز المنقذ الذى يخلص الأمة من المصائب، و الأحزان، و الآلام، و يبشّرهم بالأمل و الخلاص و يأتيهم بالنور و الضياء، إذن عودة النبى هى عودة مأمولة و هى تمثّل باب النجاة و الفرج، فى الإطار ذاته من الجدير بالذكر أنّ« للتناصّ القرآنى ثراءه و اتّساعه، إذ يجد الشاعر فيه كلّ ما قد يحتاجه من رموز تعبّر عما يريد من قضايا من غير حاجة إلى الشرح و التفصيل، فهو مادّة راسخة فى الذاكرة الجمعية لعامّة المسلمين بكلّ ما يحويه من قصص و عبر.»(البادى، ٢٠٠٧: ٤١) ضمن هذا السياق من الواضح للعيان أنّ الشاعر قد استحضر فى هذه القصيدة قصة مريم عليها السلام و قد غلب على هذه الصورة حضور الآية القرآنية المتمثّلة فى قوله تعالى:(وَ هُزِّى إِلَيْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْکِ

رُطَبَاً جَنِيّاً)(مريم: ٢٥) و التناصّ الذى مارسه الشاعر فى هـذا السـياق يقـوم على التحوير، و الفعل "هُزّى" يحتفظ بزمنيته المتعلقة بصيغته، لكن الفاعل قـد تغّير و صار رسول اللّه(ص)، و النقطة اللافتة هى أنّ الشاعر قد حذف الشرط و لم يُعطِ السكون علامة الجزم لفعل "يسّاقَطُ" و هذا يدلّ على أنّ الشاعر متأكّد من حصول الأمل الوليد، و "الهزّ" فى سياقه الدينى معّبر عن الأمل، و الخلاص، و البُشرى، و السياق الشعرى متماشٍ مع سـياقه القرآنـى تمـام التماشـى، و الـولادة المنتظرة تتمثّل فى مسيح الخلاص و تناثر رماد الطغاة و عودة أرض الأنبياء.

وأخيرا يتمنى جويدة بل هو يجـزم بـأنَّ المسـلمين سـيتمكنون فـى ظـل الإسلام من العبور بسفينتهم التى تتلاطم بالأمواج العاتية مـن مكـامن الشـر و العدوان إلى برّ السلام، و الحرّية، و الكرامة، و الأمن، و الأمان فنجـده يعـرب عن أمله بأن نرى راية الإسلام مرفوعة مهتزّة فى السماء لكى يتـاح للأمـة أن يشارك فى بناء مصيره دون أن يمليه عليها الآخرون:

«*يأتى زمانٌ نرى فى القدس رايتنا*
مرفوعة الرأس فى الآفاق كالشهب.» (جويدة، ٢٠٠٧: ٣/ ٣٧٨)

وهكذا يحرّض الشاعر الشعب الفلسطينى على القيام و مناصرة الانتفاضة.

٥-النتيجة

يمكننا أن نلخّص نتائج هذا البحث كما يلى:

١: لايزال الصراع الإسلامى الصهيونى قضية مركزية للأمة الإسلامية و إذا كانت الأمة الإسلامية قد عانت كثيراً جرّاء أفاعيل العدو الهمجيـى فقـد أكسـبهم ذلک أيضاً الكثير من صفات الوعى و النصر التى بدت واضحة جلية علـى ألسنة شعرائهم منهم فاروق جويدة.

٢: إنّ للقدس لدى الشاعر مكانة مرموقة، لهذا أنّـه يتـألّم كثيـراً حينمـا يـرى

القدس تئن تحت وطأة الإحتلال و هو من خلال وصف ما آلت المدينة اليه يريد تحريض المسلمين على تحريرها من براثن المحتلين.

٣: فاروق جويدة يرفض السلم المبنى على الخنوع رفضاً باتاً باعتباره حسما للقضية الفلسطينية ذلک أنّ العدو لايعترف إلّا بلغة القوة و هو يعتقد أنّ التفاوض مع المحتلين لايجدى نفعاً على الإطلاق و لهذا يوصى بعدم الرهان عليه.

٤: نجد الشاعر فى مقاطع غير قليلة من شعره يدعو إلى الكفاح و النضال من أجل القضاء على العدوّ و هو يقصر وسائل البقاء فى السيف و يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الشعب الذى لا يبخل بتقديم كل ما فى عروقه من دماء سيحظى بالحرّية و السيادة إطلاقاً، مهما كلّف الثمن أو طال الزمن.

٥: ينظر الشاعر إلى أطفال فلسطين نظرة تكريمة و يدعوهم إلى أنّ يحذوا حذو الشهداء الذين قدمّوا دماءهم فى سبيل تحرير الأرض المحتلة و للسير على دربهم يؤكّد على توثيق العلاقات بين الجيل الراحل و الجيل الباقى و يذكرهم بأنّ الطريق الوحيد لدكّ عرش الجائرين و المحتلّين هو هذه الحجارة التى يوجهونها نحو العدوّ الصهيونى.

٦:: إنّ الشاعر يذهب إلى أنّ مردّ معظم المشاكل التى يواجهها المسلمون فى هذا الوضع العصيب يعود إلى إبتعاد أصحاب هذا الدين السامى عنه و سيادة حالة التفرقة و التشرذم فيما بينهم و لذلک هو يناشد الأمة الإسلامية بالعودة الصحيحة الصادقة إلى الإسلام.

٧: نلاحظ شاعرنا يحذر من الإنسياق فى حلقة اليأس و الأسى، و يحضّ على التحليق فى سماء الأمل و التفاؤل بالمستقبل الباسم و هو يريد بهذا أن يبعث الهمة و الحماس فى نفوس المسلمين لكى يحركوهم نحو الحرّية، و السعادة، و الكرامة.

٨: إنّ جويدة تمكّن من خلال استخدامه الدقيق للرموز الدينية، و التاريخية، و الشخصية مثل صلاح الدين الأيوبى، خالد بن وليد و... أن يُضفى على عمله الشعرى عمقاً و عراقة، الرموز من جانب آخر. و هـذا الاسـتخدام الـدقيق يُعبر مؤشراً ناصعاً على سعة ثقافة الشاعر من جانب، و مقدرته البارعة فى التعامل مع موروثه .

٩: يستهدف الشاعر من استدعاء الرموز التراثية إلقاء الضوء على البون الشاسع الذى يفصل بين الماضى بكل ما فيه من المجد، و التقدّم، و الأيام الناصعة و الحال و ما ينطوى عليها من الخزى، التخلّف، و الانحطاط.

١٠: إنّ الرموز التى استخدمها الشاعر سواء كانت دينية أم تاريخية أم شخصية كلها قد لاتخرج عن إطار الموروث الإسلامى، فلعلّ هذا نابع مـن الرؤيـة الإسلامية التى ينتهجها، فيتعزز هذا الظن مع عدم توظيف الأساطير الغربيـة على الإطلاق من قِبَل الشاعر.

١١: إنّ لجوء الشاعر إلى التناصّ تمكّنه من الانفتاح علـى مجـالات إيحائيـة زاخرة بالمعانى، و هو لايلجأ إليه للهروب من الواقع، إنما يُقبل عليه ساعياً لطرح قضاياه بصورة أعمق شاحناً نصّه بموروث فكرى و عاطفى من خلال الجماليات العتيقة فى ثوب جديد.

١٢: يريد الشاعر من وراء التناص القرآنى إبراز المفاهيم الإسلامية فى النصّ و استخلاص العبر و تزيينه بالتنزيل العزيز و الأخذ بأسلوبه الكتابى إلى الرقىّ و السُموّ عبر استخدام الأسلوب القرآنى.

١٣: النقطة التى ينبغى الإشارة إليها هى أنّ الشاعر لايستخدم لغة الفكاهة –كما هو الحال عند بعض الشعراء المعاصرين– لإيقاظ الناس و دعوتهم للمقاومة إطلاقاً، السبب ربما يعود إلى الغضب الذى استحوذ على كـلّ كيانـه جـرّاء الوضع الراهن و لايرى مجالاً للفكاهة و المزاح.

١٤: ينبغى القول إنّ فاروق جويدة ظلّ يستعمل الشكل الموروث من الموسيقى إلى جانب الشكل الحرّ فى شعره، و إن كانت كفة استخدامه للشكل الحر أرجح من الموروث، و هذا مرتبط بأبعاد رؤيته الشعرية التى تتطلب أحياناً الشكل الموروث بإيقاعه المحكم و الدقيق.

١٥: الشاعر استخدم صيغ الاستفهام استخداماً غير قليل، و لم يكن هذا من لاوعيه أو غفلته، إنما استخدمها لأغراض بلاغية أخرى كالتعجّب، و التحقير، و العتاب، و لحيرة..إلخ.

المصادر:

١. القرآن الحكيم
٢. آذرشب، محمدعلى،(١٣٩٢)، **شعر الصحوة الإسلامية**، طهران: منشورات الثورة الإسلامية.
٣. امام خمينى،(١٣٧٨)، **فلسطين از ديدگاه امام خمينى**، تهران: مؤسسه تنظيم و نشر آثار امام خمينى.
٤. البادى، حصة، (٢٠٠٧)، **التناصّ فى الشعر الحديث البرغوثى نموذجاً**، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع.
٥. البخارى، محمد بن إسماعيل، (٢٠١١)، **صحيح البخارى**، بيروت: المكتبة العصرية.
٦. بنجر، محمد حسن سعيد(لاتا)، **الجهاد و السلام فى ذروة الإسلام**، القاهرة: دار الفكر العربى.
٧. پروينى خليل و عمورى نعيم،(١٤٣١)**التناص القرآنى فى رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ**، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية، السنة الثالثة عشرة، العدد الثانى، صص١٦٢-١٤٥.

٨. جويدة، فاروق،(٢٠٠٧)**الأعمال الشعرية**، القاهرة: دار الشروق.
٩. الحكيم، توفيق(لاتا) **فنّ الادب**، القاهرة: دار مصر للطباعة.
١٠. حمودة، حنان محمد موسى، (٢٠٠٦)، **الزمكانية وبنية الشعر المعاصر**، الأردن: جدارا للكتاب العالمى-علم الكتب الحديث،.
١١. الخطيب، أحمد موسى،(٢٠٠٩)، **دراسات فى الشعر العربى المقاوم**، الأردن: جامعة البترا، الطبعة الأولى.
١٢. رشيد رضا، السيدمحمد، (١٣١٥) **مجلة المنار**، مصر: مطبعة المنار.
١٣. الزحيلى، محمد، (١٩٩٣) **الإسلام فى الماضى و الحاضر**، دمشق: دارالقلم.
١٤. الزعبى، أحمد، (٢٠٠٠) **التناص نظرياً و تطبيقياً**، الأردن: مؤسسة عمون للنشر.
١٥. زغلول، لطفى، (٢٠٠٥)، **القدس حق وراءه مطالب**، النشر الإلكترونى: www.nashiri.net.
١٦. سعدون زاده، جواد، (بهار١٣٨٩)، **مظاهر أدب المقاومة فى شعر نزار قبانى**، نشريه ادبيات پايدارى، دانشكده ادبيات دانشگاه شهيد باهنر كرمان، ٢: صص١٦٧-١٤٦.
١٧. سليمان، خالد، (١٣٧٦)، **فلسطين و شعر معاصر عرب**، ترجمه شهره باقرى و عبدالحسين فرزاد، تهران: نشر چشمه.
١٨. الشطناوى، لقمان رضوان خالد، (٢٠٠٤)، **الرمز فى الشعر الأردنى المعاصر**، رسالة ماجستير، جامعة مؤته.
١٩. شلّح، رمضان عبد اللّه، (٢٠٠٧) **حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين حقائق و مواقف**. بيروت: مؤسسة الأقصى الثقافية، الطبعة الأولى.
٢٠. عثمان، أحمد، (٢٠٠١). **اللغة العربية مكانتها و قضاياها اللغوية**. فصلية إضاءات نقدية، السنة الأولى، العدد الثانى: صص٣١-٩.
٢١. عشرى زايد، على، (١٩٩٧)، **استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر**، القاهرة: دار الفكر العربى.

٢٢. عوض، لـويس، (١٩٦٧) **الثـورة و الأدب**، القـاهرة: دار الكاتـب العربـى للطباعة و النشر.
٢٣. فراهانى، فاطمة أميرخـانى، (٢٠٠٤) **فلسـطين مـن منظـار قائـد الثـورة الإسلامية فى ايـران**. ترجمة عبد الأمير عبد الزهرة عناد الغزالى، طهـران: مركز الدراسات الثقافية و الدولية.
٢٤. القرضاوى، يوسف، (٢٠٠١)، **الصحوةالإسلامية بين الاختلاف المشروع و التفرّق المذموم**، القاهرة: دارالشروق.
٢٥. قطب، سيد، (٢٠٠٥)، **فى التاريخ فكرة و منهاج**، القاهرة: دارالشروق.
٢٦. ـــــــــــــ(٢٠٠١)، **السلام العالمى و الإسلام**، القاهرة: دارالشروق.
٢٧. قطب، محمد، (٢٠٠٢)، **قضية التنوير فى العـالم الإسـلامى**، القـاهرة: دار الشروق.
٢٨. الكلينى، محمد بن يعقوب، (٢٠٠٥) **أصول الكافى**. المجلّد الثانى، بيروت: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.
٢٩. كيانى، حسن و ميرقادرى، سيد فضل اللّه، (١٣٩٠) **عزّالدين مناصـرة شـاعر الحبّ و المقاومة**، فصلية اللسان المبين، العدد الخامس: صص١٦٦-١٥٢.
٣٠. مطهرى، مرتضـى، (١٣٩٠)، **امـدادهاى غيبـى در زنـدگى بشـر**، تهـران: انتشارات صدرا.
٣١. مجلة عربيات الدولية، لقاء على الانترنت مع الشاعر القدير فاروق جويدة. www.arabiyat.com
٣٢. هيئة المعاجم، (١٩٩٥). **معجم بـابطين للشـعراء العـرب المعاصـرين**.ج٧، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى.
٣٣. أدب: الموسوعة العالمية للشعر العربى، آوريل ٢٠١٢:
http://www.adab.com/modules.php?name=sh3er&docwhat=ssd&shid=10.